



# كشَفُ النُّبُوِّ عَنِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ

لِلإمام العلامة العارف بالله شامع الأسماء والمختصين  
بشأنه سيدنا آفندي النابلسي رضي الله تعالى عنه

(م ١١٣٠ هـ)

## مكتبة قادريه

جامعه نظاميه رضويه بوهاري مندي لاهوره

## الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده : يقول الحقير

محمد بن اسماعيل النابلسي الحق : هذه رسالة كتبها في ظهور كرامات الاولياء بعد  
مراهم وحكم رفع البناء عليهم وتعالى السور الى غير ذلك وصحبها فكشف القور عن  
اصحاب القبور . واما الله تعالى ان يلهمني ما هو الحق والصواب وأن يوفق  
سوال المسلمين الى الإنصاف عند ظهور الحق والاعتراف ، والله على كل شيء  
قدير وبالإجابة جدير .

اعلموا اخواني في روضة شدي الإسلام أن الكرامات التي اكبر  
الله تعالى بها اولياءه المقربين الى حضرة أمور عارفة لعادة الله تعالى في خلقه ،  
في نفسه الله تعالى بمحض قدره وارادته لا مدخل لقدرة الولي المخلوقة فيه  
لا ارادته المخلوقة فيه أيضاً على التأثير فيها البتة وإنما قدرة الولي وارادته  
المخلوقتان في سبب لخلق الله تعالى تلك الكرامات على يديه ونسبتها اليه ، وكل من  
جاد ان الولي له تأثير في شيء من ذلك فهو كافر بالله تعالى على ما عرف في علم  
الوحيد .

وحقيقة أمر الولي في خلق الله تعالى الكرامات على يديه انه متحقق  
وعدانية الله تعالى في التأثير . وانه لا تأثير له عند نفسه البتة حتى ان حركات  
منه التي هي القوى الروحانية العنسية في البدن وفي القوة الباصرة والقوة السامعة  
القوة الذائقة والقوة الالاسية والقوة الشامية والقوة العقلية الباطنية المتفكرة  
المتخيلة والحافظة . وكذلك الحركات الظاهرة في جميع الاعضاء والاعصاب  
من ذلك ، فانها مخلوقة فيه لله تعالى . وهو مشاهد لجميع ذلك في نفسه ومتحقق  
في كل وقت إلا إذا سيطر الله عليه الغفلة في بعض الأحيان فيكون في ذلك  
وقت ليس بولي الله تعالى إلا بحسب ما مضى كالمؤمن اللائم فانه مؤمن بسبب



حكّم ما مضى في البقعة من الإيمان وهذه الحالة هي أدنى أحوال الأولياء وأدنى شهود من شهودانهم . وربما سموا شبيهاً من ذلك في طريقهم مؤناً اختيارياً انحلا من إشارة قوله تعالى **إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ** . ومعنى إشارة الآية على عدم الفرق بين ميت بالسكون والتشديد كما ذكره الجوزي في الصحاح : **إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِنْ خَلِمَ الْفَائِزُ مِنْكَ وَمِنْهُمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ بِحَسَبِ الْإِدْرَاكِ وَالْأَفْعَالِ** ميت وهم ميتون لأن حياتك مخلوقة كحياتهم وهي عرض بخالق الله تعالى الإدراك باطنًا والأفعال والآقوف ظاهراً عندها لا بها ، فهي سبب الخلق ذلك من الله تعالى فهي موت في حقيقة الأمر فيك وفيهم جميعاً . وهذا الموت الاختياري شرط في مقام الولاية حتى إذا لم يتحقق به الولي في نفسه فليس بولي واليه الإشارة بقوله عليه السلام : **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ قَدْ عَرَفَ رَبَّهُ** يعني من عرف نفسه ، أنها كناية عن قوى باطنية وظاهرية منبوعة من العدم بسطوة قدرة غيره عرف ربه . والرب هو المالك يعني عرف مالك امره الباطن والظاهر وهو الله تعالى فيعرفه من حيث أنه الخالق لتلك القوى والمصرف لها فيما يشاء تعالى ويختاره ويعلم أن نفسه في يد الله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء كما كان يقسم النبي **ﷺ** بقوله : **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَيْ وَحَقِّ الَّذِي جَمِيعُ قَوَايِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالظَّاهِرِيَّةِ فِي تَصَرُّفِهِ وَحَدِّهِ لَا مَدْخُلَ لِي فِي ذَلِكَ الْبَقْعَةِ** . ومن هنا يفهم قول النبي عليه السلام في حديث التقرب بالنوافل : **وَكُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ ... إِلَى آخِرِهِ** فيظهر لذلك المتقرب بالنوافل الفاعل المتصرف في قوائمه كلها وتبقى القوى عنده اعراضاً زائلة كما هي في حقيقة الأمر فيكون الحق كناية عنها بعد زوالها من نظر ذلك المتقرب . وليس هذا كله إلا بعد حصول الموت الاختياري له .

وإذا كان كذلك فالولاية مشروطة عند العارفين بالادراك الموت والتحقق به ، والكرامات للأولياء مشروطة حيث عندهم بوجود الموت لا بقائه فكيف يزعم عاقل أن الموت ينفي الكرامات ؟ والكرامات مشروطة به . ولم لم يتحقق به الإنسان في نفسه فليس يعترف ولا ولي . وإنما هو عامي من عرف المؤمنين غافل محجوب . وذلك لأن الولي هو الإنسان الذي يتولى الله تعالى جميع أموره الباطنية والظاهرية كما ذكرنا . وأما غيره فنفسه هي التي تتولى أمورها

العلمية والحجاب عن المتولى في الحقيقة لجميع الأمور وهو الله تعالى لأنه تعالى **يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ وَالْغَافِلِينَ وَالْمُسْتَظْفَرِينَ** . ولكن قال تعالى : **إِنَّمَا يَتَوَلَّى أَمْرَهُمُ الَّذِينَ يُبْذَلُونَ عَلَيْهِمْ** . أي إنما يعلم ذلك ، وهو علم الفرق بينهما أصحاب البصائر .

ومما يدل على ثبوت الكرامة بعد الموت من أقوال الفقهاء قولهم بكرامة الوطى على القبور . قال في مختصر محيط المرحسي للإمام الخياوي : **وَكَرِهَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ مَنْ يَجْلِسُ أَوْ يَنْهَضُ أَوْ يَتَوَلَّى أَوْ يَتَوَلَّى لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِهَانَةِ** . وفي جامع الفتاوى لقارن الهداية : **وَمَثَلُ بَعْضِ الْمُفَضَّلَةِ عَنْ وَطَى الْقَبُورِ فَقَالَ : يَكْرَهُ . قِيلَ : عَلَ بَكْرِهِ عَلَى أَنَّهُ تَارِكٌ لِلأَوَّلِ . فَقَالَ : لَا بَلْ يَأْتُمُّ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لِأَنَّهُ أَضْعَفُ قَدَمِي عَلَى جَمْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَطَى الْقَبْرِ . قِيلَ : التَّاهُوتُ وَالتَّرَابُ الَّذِي فَوْقَهُ بِمَنْزِلَةِ السَّقْفِ . فَقَالَ : وَإِنْ كَانَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ السَّقْفِ لَكُنْ حَقَّ الْعَيْثِ بَلَى فَلَا يَجُوزُ . أَنْ يَوْمًا . وَمَثَلُ الْخُجَنْدِيِّ عَنْ رَجُلٍ لَوْ كَانَ قَبْرٌ وَالِدِيهِ بَيْنَ الْقَبُورِ هَلْ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَمْرُ بَيْنَ قَبُورِ الْمُسْلِمِينَ بِالْدُّعَاءِ وَالتَّسْبِيحِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَيَزُورُ قَبْرَهُمَا ؟ فَقَالَ : لَهُ ذَلِكَ إِنْ امْكَنَهُ مِنْ غَيْرِ وَطَى الْقَبُورِ النَّهْيُ . وَفِي فَتْحِ الْقَدِيرِ : وَيَكْرَهُ الْجُلُوسُ عَلَى الْقَبْرِ وَوَطْئُهُ . وَحَيْثُ لَمَّا يَصْنَعُهُ النَّاسُ عَمَّنْ دَفَنَتْ أَقَارِبَهُ ثُمَّ دَفَنَتْ حَوْلَهُمْ خَلْقٌ ، مِنْ وَطَى تِلْكَ الْقَبُورِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ مَكْرُوهٌ وَيَكْرَهُ النَّوْمُ عِنْدَ الْقَبْرِ وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ بِلِ أَوَّلِ وَكُلِّ مَا لَمْ يَعْهَدْ مِنَ السَّتَةِ ، وَالْمَمْوُودُ مِنْهَا لَيْسَ إِلَّا قِيَارُهَا وَالدُّعَاءُ عَنْهَا قَائِمًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ **ﷺ** فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْبَقِيعِ وَيَقُولُ : وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ .** انتهى كلامه . وحيث صح هذا وثبت في كتب الفقه فنقول : لم يكره الوطى على التقير والجلوس عليه إلا لكرامة الموتى بعد موتهم . وهذه الكرامة ثابتة في الشرع . وهي امر خارج للعادة في الخلق : فإن العادة جارية أن الإنسان يباح له أن يمشي على الأرض وأن يجلس عليها وأن يوطئ برجله أبعاض الحيوانات كلها إلا موتى أهل الإيمان ، فقد خولفت العادة في حقهم فكره ذلك كله كرامة تحريم



لأنها المحمل عند الإطلاق . وإنما كان ذلك تكريماً لهم بعد موتهم ، وهم من عوام المؤمنين . فكيف الحال مع خواصهم ومع أهل الولايه المقربين إلى الله تعالى . فقد ثبتت الكرامة بعد الموت على لسان الشرع .

وأيضاً ثبت أن النبي ﷺ كان يزور القبور في البقيع ويدعو عندها قائماً دليلاً على ثبوت الكرامات بعد الموت لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم أن الدعاء عند قبور المؤمنين مستجاب بخصوصية في المكان بسبب الموتى المدفونين فيه . لما دعا عند قبورهم بقوله عليه السلام : «سأل الله لي ولكم العافية» واستجابة الدعاء ببركة قبور المؤمنين التي تنزل عليها الرحمة من جملة الكرامات للمؤمنين بعد الموت . وذلك في حق قبور عوام المؤمنين فكيف قبور خواصهم من أهل التوحيد الكامل اليقين من المقربين إلى الله تعالى . وفي ذلك ثبوت الكرامة بعد الموت أيضاً .

ومن الدليل على ثبوتها بعد الموت أيضاً حكم الشرع بوجوب تقبيل الميت المسلم ووجوب تكفيله ودفعه تكريماً له . وهي كرامة البتة الشرع للمؤمنين بعد الموت بخارقة للعادة في حق موقه سائر بني آدم من الكافرين وجميع الحيوانات التي جرت العادة الشرعية بعدم تقبيلها .

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما قاله صاحب النهاية في شرح الهداية : أن الميت ينجس بالموت وأن التثليل واجب لإزالة نجاسة تثبت بالموت كرامة للآدمي بخلاف سائر الحيوانات . وفي جامع الفتاوى : يفضل لتنجسه بالموت كسائر الحيوانات الدورية إلا أنه يظهر بالغسل كرامة له . وقيل : لا ينجس لأنه مؤمن بل الغسل لأجل أنه على غير وضوء انتهى . وهذا يدل على ثبوت الكرامة للمؤمن بعد موته أيضاً .

وذكر في جامع الفتاوى : أن البناء على القبر لا يكره إذا كان الميت من المشايخ والعلماء والسادات . وذكر فيه أيضاً أنه ينبغي أن يكون غاسل الميت على طهارة ويكره أن يكون عاتقاً أو جنباً انتهى . وهذا مما هو صريح في ثبوت الكرامة للمؤمن بعد الموت أيضاً بل الكرامات كلها لا تكون للمؤمن إلا بعد الموت . وأما في الحياة الدنيا فلا كرامة له في الحقيقة إلا مجازاً لأنه يكون في دار الجوار

لإعداد الله تعالى دار يكفر فيها بالله تعالى وهذا لا يشك فيه عاقل البتة . وفي عمدة الاعتقاد للإمام السبكي رحمه الله تعالى : وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال قومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم ورسول وأتباعه حقيقة لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وحولاً يتغير بالموت انتهى .

وربما نقول : مراده بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الولي ، والإيمان وهو الإيمان الكامل وهو الولاية وهي باقية بعد الموت لأن المتصف بها الروح والروح لا يتغير بالموت . أو المراد مطلق المؤمن ومطلق الإيمان فيكون المؤمن الكامل والإيمان الكامل مفهومين بالطريق الأول بحسب ما ذكرنا لا سيما وقد قال تعالى في حق أهل الجنة : «ولا يدعون فيها الموت إلا الموتة الأولى» ونحن نتكلم على إشارة هذه الآية ولا نمنع عبارتها كما هو دأب أهل الله تعالى فنقول فيما نحن بصدد المعارف بربهم أنهم مؤثنان مؤنة في نفوسهم وموتة في أبدانهم . والمعتبر عندهم النفوس دون الأبدان لأن الأبدان مساكن النفوس والعبرة بالسكن لا بالدار والسر في السكان لا في الديار . فإذا جاهدوا أنفسهم المجاهدة الشرعية باطناً وظاهراً وملكوا طريق الاستقامة مانت نفوسهم فحققوا بالحق لما ذاقوا الموت وبقيت أرواحهم مدبرة لأجسامهم في الدنيا بشير واسطة النفوس فكانوا ملائكة في صورة البشر ، لأن الملائكة أرواح مجردة وهم بعد موت نفوسهم أرواح مجردة أيضاً ، كما كانت ينزل جبريل عليه السلام إلى صورة دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه وبأنى إلى النبي ﷺ فعند ذلك إذا انقطع علاقة أرواحهم من تدبير أبدانهم كانوا بمنزلة جبريل عليه السلام إذا عاد إلى عالم تجرده وفارق الصورة البشرية . ولا يسمى هذا مؤناً حقيقياً في حقهم بل يسمى انتقالاً من عالم إلى عالم آخر وتقليباً في الأقطار . ولهذا قال تعالى عنهم «ولا يدعون فيها الموت إلا الموتة الأولى» وهذه إشارة الآية الكريمة التي لا تنحصر معانيها وعباراتها ولا تنفذ حكمها وأسرارها وإشاراتها . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوهم عاقل أن الله تعالى يقطع تكريمه عن هذا الولي الذي كملت ولايته بموته العليبي والتحقه بعالم المجررات حتى صار مع الملائكة في فضاء الأزل والملكوت كما كان يقول النبي ﷺ عند موته : «اللهم الرفيق الأعلى» .



هذا وقد ورد في كتاب المحققين من أهل الله تعالى كثير من الحكايات والأخبار المفصلة عن وقائع الكرامات للأولياء بعد الموت وتداولته الثقات بما لا يسع التكرار. فمن ذلك ما ذكره قدوسنا إلى الله تعالى المجتهد الكامل والعالم العادل الشيخ يحيى الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه «روح القدس في مناقحة النفس» في ترجمة أبي عبد الله ابن زين السيارى بالياء المشاففة النحائية وضم الباء الموحدة النحائية الإشبيلية. كان من أهل الله تعالى أنه قرأ ليلة فالبف أبي القاسم ابن حديد في الرد على أبي حامد الغزالي فعسى فسجد لله تعالى من حبه وتطهر وأقسم أنه لا يقرأ أبداً ويذهب، فردد الله تعالى عليه بصره انتهى. وهي كرامة صدرت لأبي حامد الغزالي رضي الله عنه بعد موته على يد هذا الإنسان. وذكر العجلال السبطين رحمه الله تعالى في كتاب له في ذكر الموت سماه «بشرى الكسب ببقاء الحبيب» قال: أخرج الحافظ أبو القاسم اللالكائي في السنة بسند عن محمد بن نصر الصانع قال: كان أبي مولعاً بالصلاة على الجنائز. فقال: يا بني حضرت يوماً جنازة فلما دفنوها نزل إلى القبر لفسان ثم خرج واحد وثقى الآخر وحشى الناس الشراب. فقلت: يا قوم يدفن حى مع ميت؟ فقالوا ما ثم أحد فقلت: لعنه شبه لي. ثم رجعت فقلت: ما رأيت إلا اثنين خرج واحد وثقى الآخر لا أبرح حتى يكشفه الله ما رأيت ففراأت عشر مرات يس وبارك وبكيت وقلت: يا رب اكشف لي عما رأيت فاني لحائف على عقل ودين. فانشق القبر فخرج منه شخص فولى مبادراً. فقلت: يا هذا عبيدك الا وقتت حتى أسألك عما انت. فقلت الثانية والثالثة فانتفت وقال: أنت نصر الصانع. فقلت: نعم. قال: ما تعرفني؟ قلت: لا. قال: نحن ملكان من ملائكة الرحمان مؤكلان بأهل السنة إذا وضعوا في قبورهم، نزلنا حتى نلقنهم المحجة. وغاب عني.

وحكى الياقنى في روض الرياضين عن بعض الأولياء. قال: سألت الله تعالى أن يربنى مقامات أهل القبور. فرأيت ليلة من الليالي القبور قد انشقت وإذا منهم النائم على السرير ومنهم النائم على الحرير والديبايح ومنهم النائم على الرياح ومنهم النائم على السرور ومنهم الباكي ومنهم الضاحك فقلت: يا رب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة. فتأدى مؤاد من أهل القبور: يا فلان هذه أمثال الأعمال.

أما أصحاب الستس فهم أصحاب المخلوق الحبيب، وأما أصحاب الحرير والديبايح فهم الشهداء، وأما أصحاب الريحان فهم الصالحون، وأما أصحاب السرور فهم السحابون في الله، وأما أصحاب الكساء فهم المذنبون، وأما أصحاب الضحك فهم أهل النوبة.

قال الياقنى: رؤية الميت في غير أو شر توع من الكشف بظهور الله نبشيراً ومرعظة أو مصلحة للميت أو إهداء خير أو قضاء دين أو غير ذلك. ثم هذه الرؤية لابد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من الكرامات الأولياء أصحاب الأحوال. وقال في كفاية المعتقد: أخبرنا بعض الأخبار عن علي الصالحين أنه كان يأتي قبر والده في بعض الأوقات ويتحدث معه.

وأخرج اللالكائي في السنة عن يحيى بن معين قال: قال لي حجار أعجب ما رأيت من هذه المقابر إلى سمعت من قبر والمؤذن يؤذن وهو يجيبه من القبر.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثايت البثاني في قبره ومضى حميد الطويل. فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لينة فاذا أتاه يصلى في قبره. وكان يقول: اللهم ان كنت أعطيت أحداً من عاقلك الصلاة في قبره فأعطيتها فما كان الله ليرد دعائه.

وأخرج الترمذى وحسنه الحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ حباء على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا فيه إنسان يقرأ سورة المالك حتى تنتهيها. فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال النبي ﷺ: هي المانة هي المشجبة تنجي من عذاب القبر. قال أبو القاسم السعدي في كتاب الانصاح: هذا تصديق من رسول الله ﷺ بأن الميت يقرأ في قبره. فان عبد الله أخبره بذلك وصدقته رسول الله ﷺ. وأخرج ابن مائة عن طلحة عن عبيد الله قال أردت ما لي بالغاية فادركني الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حزام فسمعت قراءة من القبر فما سمعت أحسن منها فجئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال: ذلك عبد الله ألم تعلم ان الله قبض



أرواحهم فجعلها في قناديل من زرجند وياقوت ثم علقها وسط الجنة . فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن المهدي قال حدثني الذين كانوا يسمون بالمصري في الاسفار قالوا : كنا إذا سارنا بجيآت قبر ثابت البستاني سمعنا قراءة القرآن .

وأخرج ابن ماجة عن سلمة بن شبيب . قال سمعت أبا حماد الحضار . وكان ثقة ورعاً . قال : دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار ، فلما مررت بقبر الإمام سمعت منه قراءة القرآن . وأخرج ابن ماجة عن عاصم السقطي قال : حفرنا قبراً يبلغ فخذ في قبر فنظرت فإذا بشيخ في القبر متوجه إلى القبلة وعليه إزار أخضر وأخضر ماحوله وفي حجره مصحف يقرأ فيه . وأخرج ابن ماجة عن أبي النصر النيسابوري الحضار . وكان صالحاً ورعاً قال : حفرت قبراً فافتح في القبر قبر آخر ، فنظرت ، فإذا أنا بشاب حسن الوجه حسن اللب لب الريح جالساً متربعاً وفي حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القرآن فنظر الشاب إلى وقال : أقامت القيامة ؟ قلت : لا . فقال : أهد المدبرة إلى موضعها فاعدتها إلى موضعها .

ونقل السهيلي في دلائل النبوة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه حفر في مكان فالتفت طائفة . فإذا شخص على سرور وبين يديه مصحف يقرأ فيه وإمامه روضة خضراء وذلك بأحد ، وعلم أنه من الشهداء لأنه رأى في صفحة وجهه جرحاً . وأورد ذلك أيضاً أبو حيان في تفسيره . وحكي اليافعي في روض الرباعين عن بعض الصالحين قال : حفرت لرجل من العباد قبراً وأحدثته فيه فينما أنا أسوي اللحد إذ سقطت أئنة من أحد بلية فنظرت فإذا شيخ جالس في القبر عليه ثياب بيض ترفع وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه إلى وقال : أقامت القيامة ؟ رحمك الله . قلت : لا . فقال رد الأئنة إلى موضعها وعاك الله . فرددتها . وقال اليافعي أيضاً : روينا عن حفر القبور من الثقة أنه حفر قبراً

وأشرف فيه على إنسان جالس على سرور وبين يديه مصحف يقرأ فيه وتحتة نهر يجري فمشى عليه وأخرج من القبر ولم يدروا ما أصابه فلم يبق إلا في اليوم الثالث .

وأخرج سعد بن منصور عن عدي بنته أمية بنت أمية بن صفى الغفاري صاحب رسول الله ﷺ قالت : أوصانا أبي أن نكفنه في قبص قالت : فلما أصبحت من الغد من يوم دفنا . إذا نحن بالقبص الذي دفناه فيه عندنا .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب السمات بسند لا بأس به من مرسل راشد بن سعد أن رجلاً توفيت امرأته ، لم رأى نساء في السمات ولم ير امرأته معهن . فسألهم عنها . فقال : انكم قنصرتم في كشفها فهي تستحي تخرج معنا . فأتى الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره . فقال النبي ﷺ : انظر هل إلى بقية من سبيل . فأتى رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره فقال الأنصاري : إن كان أحد يبلغ الموتى بلغته . فتولى الأنصاري فجاء بشوطين مشردين بالزعفران . فجعلهما في كفن الأنصاري . فلما كان الليل أتى النسوة ومعهن امرأته ، وعليها الثوبان الأصفران انتهى .

وذكر الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى في كتابه «طبقات الأخيار» في ترجمة الشيخ أحمد البدوي أن سيدي عبدالعزیز الديريني رضي الله عنه كان إذا مشى عن سيدي أحمد البدوي قال : هو بحر لا يسدرك له قرار وأخبره وحينئذ بالأسرى من بلاد الفرنج وإغاثة الناس في قنطاع الطريق وحيلولة بينهم وبين من استنجد به لا تحولها الدفاتر رضي الله تعالى عنه . قلت : وقد شاهدت أنا بعين سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيراً على منارة سيدي عبدالعال مقيداً مغلولاً وهو غبط العفل . فسألته عن ذلك . فقال : بينما أنا في بلاد الفرنج آخر الليل توجهت إلى سيدي أحمد فإذا أنا به فأخذني وطأني في الهواء فوضعتني هنا . فمكث يومين ورامه ، دائرة عليه شدة من الخبطة انتهى . وهذا كله ، صريح بثبوت الكرامات بعد الموت وهو أمر حتى في نفسه لا يشك فيه إلا كل ناقص الإيمان منظمس البصيرة مطرود عن باب فضل الله تعالى منعصب على أهل الله تعالى أو قعه الله تعالى في وروعة الإنكار على أوليائه تعالى وقد أهانه الله تعالى وغضب عليه والقاء



الى الشيطان يتلاعب به ليغتر من يحبهم الله تعالى فيمرضه للاستخفاف بهم وبكراماتهم وإعانة قيسورهم واحتقارها مع أن المعلوم عند من قرأ في علم العقائد والتوحيد أن الأرواح لها اتصال بالأجساد بعد الموت كاتصال شعاع الشمس بالأرض والروح في مقبرها فيجب احترام قبور المؤمنين البتة لهذا المعنى حتى قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه «بشرى الكتيب بإفهام الحبيب» قال الباقى : مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله وخصوصاً ليلة الجمعة ويحسبون ويتحدون وتتعمم أهل النعيم وتعذب أهل العذاب . قال : ويتنصص الأرواح دون الأجسام بالتعمم والعذاب مادام في عليين أو سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى .

وبما يدل على اتصال الأرواح بالأجساد في القبور بعد الموت ما نقله في بحر الكلام للإمام التتبي رحمه الله تعالى من قوله في غلاب القبر : فإن قيل : كيف يوجع اللحم في القبر واسم يكن فيه الروح ؟ فالجواب : مثل النبي ﷺ أنه قيل له : كيف يوجع اللحم في القبر واسم يكن فيه الروح ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : كما يوجع منك وإن لم يكن فيه الروح ؟ ألا ترى أن النبي ﷺ أخبر أن السن " يتوجع " لما أنه متصل باللحم ، وإن لم يكن فيه الروح . فكذلك بعد الموت لما كان روحه متصلاً بجسده لم يوجع انتهى وهذا صريح في أن روحانيات الموتى متصلة بأجسادهم التي في قبورهم وإن بايت أجسادهم وصارت تراباً . ولهذا جاء الشرع باحترام قبورهم كما ذكرناه فيما تقدم . فكيف لا ينبغي للمؤمنين احترام قبورهم وتعظيمها وزيارتها والتبرك بها وهم يعلمون أن الروحانيات الكاملة الفاضلة متصلة بتلك الأجساد الطيبة الطاهرة كما هو مقتضى الأخبار النبوية وقد صارت رأياً . ولا يرى المنكر لذلك إلا جاهلاً يعتقد من جهله أن الأرواح أعراض تزول بالموت كما تزول الحركة عن الميت ، طبع ما هو مذهب بعض الفرق الضالة ، حتى أنهم يزعمون أن الأولياء إذا ماتوا صاروا تراباً والتحقوا بتراب الأرض وذهبت روحانياتهم ، فلا حرمة لقبورهم . ولهذا يهينونها ويحتفرونها ويتكفرون على من زارها وتبرك بها حتى أتى سمعت بإحدى رجلاً يقول بنوما وأنا أسمع وكنت

ذاهباً إلى زيارة قبر الشيخ ارسلان الدمشقي رضي الله عنه : كيف ضرورون تراباً ؟ ما هذا إلا قلة عقل ! فتعجبت من ذلك لحاية العجب ، وقلت في نفسي : ما هذا قول من يدعى الاسلام ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقد ورد في الحديث أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النيران ولا معنى لذلك إلا في روحانيات الموتى إما تنعم في قبورهم أو تعذب فيها . وذلك بانصال الروحانيات بالأجساد البالية التي خرجت من الدنيا وهي طاهرة بالإيمان والطاعات أو فذرة بالكفر والمخالفات . فحينئذ قبور المؤمنين محترمة متبجلة معظمة كما كانوا قبل ذلك ، وهم أحياء محترمون منجكون . فإن من احتقر حالماً أو بغضه خيف عليه الكفر ، كما صرح بذلك الفقهاء .

ولا فرق بين الأحياء في ذلك والأموات . أرايت أن الأحياء والأموات كلهم مخلوقات الله تعالى لا تتأثير لأحد منهم في شيء من الأشياء البتة . وإنما المؤثر هو الله تعالى وحده على كل حال والأحياء والأموات سواء في عدم التأثير قطعاً من غير شبهة ولكن الاحترام واجب في حق الجميع . قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) وشعائر الله هي الأشياء التي تشعر أي تعلم به تعالى كالعلماء والصالحين أحياء وأمواتاً ونحوهم .

ومن تعظيمهم بناء القباب على قبورهم وعمل التوايت لهم من الخشب حتى لا تحقرهم العامة من الناس وإن كان ذلك بدعة فهي بدعة حسنة ، كما قال الفقهاء في تكبير العمائم وتوسيع اللباب للعلماء ، أنه جائز حتى لا تستخف بهم العامة ويحرمونهم . وإن كان ذلك بدعة لم يكن عليها السلف حتى يقال في جامع الفتاوى في البناء على القبر : وقيل لا يكره إذا كان الغيت من المشايخ والعلماء والسادات . وفي المحضرات : وكان الشيخ أبو بكر محمد بن الفضل يقول : لا بأس باستعمال الأجر في ديارنا وكان يجوز استعمال رفيرف الخشب . وذكر الامام الترمذاني : هذا إذا كان حول البيت وأما إذا كان فوقه فلا يكره لأنه عصمة من السباع وهذا كما اعتادوا النسيب بالبن صيانة عن النيش . ورأوا ذلك حسناً . وفي تنوير الأبصار : ولا يرفع عليه بناء . وقيل : لا بأس به . وهو المختار وفي شرح الكنز



للزباني. وقيل: لا بأس بالكتابة ووضع الحجر ليكون علامة لما روى أنه عليه السلام وضع حجراً على قبر عثمان بن مظعون انتهى.

وأما وضع السور والعمائم والقباب على قبور الصالحين والأولياء فقد كرهه الفقهاء حتى قال في فتاوى الحججة: وتكره السور على القبور انتهى. ولكن نحن الآن نقول إن كان المقصد بذلك التعظيم في أعين العامة حتى لا يحقرها صاحب هذا القبر الذي وضعت عليه الشيايب والعمائم ولجلب الخشوع والأدب لقلوب الغافلين الزائرين لأن قلوبهم غافرة عن الحضور والتأدب بين يدي أولياء الله تعالى المتدفنين في تلك القبور، كما ذكرنا من حضور روحانياتهم المباركة عند قبورهم. فهو أمر جائز لا ينبغي الزهني عنه لأن الأعمال بالنيات، ولكل أمر ما نوى. فإنه وإن كان بدعة على خلاف ما كان عليه السلف. ولكن من قيل قول الفقهاء في كتاب الحج: أنه بعد طواف الوداع يرجع الفقهاء حتى يخرج من المسجد لأن في ذلك لإجلال البيت وتعظيمه، حتى قال في منهج السالك: وما يفعله الناس من الرجوع الفقهاء بعد الوداع فليس فيه سنة مروية ولا أثر محكي وقد فعل أصحابنا انتهى. وهذا تعظيم للبيت الحرام مع أنه جناد والأولياء أفضل منه من غير شبهة لأنهم مكلفون بخدمة الله تعالى دون الكعبة لأن عبادتها بلا تكليف. وإن كانوا أمواتاً فالبيت كالجناد والاحترام لازم في حق الجميع. وتكره الكعبة أمر مشروع حتى ذكروا أنه يجوز ستر الكعبة بالحبر وقبور الصالحين والأولياء وإن لم تكن كعبة ولا كالكعبة من جهة الأحكام ولكنها محترمة لأن الكعبة إنما أمرنا بالتوجه إليها والطواف بها وتعظيمها واحترامها مع أنها جناد ابتلاء من الله تعالى تكليفاً لنا وإلا فهي أحجار. وكل من كان سجوده لها لنفسها كان عابداً أصنام فبكفر بالله تعالى ولهذا ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حين قبل الحجر في طوافه: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، وأولاً إني رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك ما فعلته. فإلزاماً سبب ذلك أنه تذكر وضع المجاميع الأصنام حول البيت وسجودهم لها فخشى أن يظن أحد أن تعجيل الحجر يشبه نوعاً من الجاهلية فقال ما قال رضي الله عنه: وما سمعنا أحداً من العامة ولا

يرهم يعتقد أن قبور الصالحين كعبة يصح الطواف بها أو تصح الصلاة إليها حتى تخاف عليهم من ذلك. وإنما العامة جميعهم يعلمون إن القبلة هي الكعبة وحدها. وانها في مكة ولكنهم يبالغون في التعظيم والاحترام لتلك القبور لأنها قبور أولياء الله تعالى وقبور أحيائه تعالى وأهل صفوته. هذا مقدار ما نظم من أحوالهم والمؤمن لا يظن بالمؤمنين إلا خيراً.

وقد ورد في الحديث كما أخرجه الأسبوعي رحمه الله تعالى في الجامع الصغير قال قال رسول الله ﷺ: حسن الظن من حسن العبادات وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن أثم ولا تحسروا ولا يخطب بعضكم بعضاً الآية). ويجب الحمل على الكمال في حق عامة المؤمنين كما كان يعاملهم النبي ﷺ مع علمه بأخلاق الله تعالى له أن منهم المنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر واليهود ويظهرون الإيمان. ومع ذلك كان يعامل الجميع معاملة أهل الإيمان لأنه جاء بحكم بالظاهر والله يتولى السرائر كما قال عليه الصلاة والسلام: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله. ولا ينبغي لمسلم أن ينكر كل ما يراه حدث ولم يكن في العصر الأول ما لم يطلع على قيامته وإن فاعله فعله على وجه يخالف ما هو مقصود الدين بالمعنى. أرايت أن رسول الله ﷺ يقول: من ستر سنة حسنة كان له ثوابها وثواب من عمل بها إلى يوم القيامة. فقد نهي ما تحمده الأمة بعده مما هو غير مخالف لمقصود شرعه سنة مع أنه لم يكن له وجود في زمنه ﷺ. فالبدعة المحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة على هذا، تسمية وردت على لسان الشارع ﷺ.

ومن هذا القليل ما ذكره الفقهاء في مبحث زيارة النبي ﷺ من قولهم وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المذبح والمشى إلى أن يدخلها حين وكل ما كان ادخل في الأدب والأجلال كان حسناً كما ذكره والذي رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح الدرر في كتاب الحج.



وبقاس على هذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصالحين وهو أيضاً من باب التعظيم والإجلال للأولياء . فالمقصود فيها مقصد حسن لا سيما إن كان لذلك الولي فقراء يتقدمونه ، يحتاجون إلى إيقاد المصباح ليلاً لقراءة القرآن أو تسبيح أو تهجد وإن كره الفقهاء الصلاة عند القبور ولكن محله في غير الموضع المعد لذلك ، المتباعد عن القبر . وقد قال والذي رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح الدرر : وتكره الصلاة في المغبرة لأنه يشبه اليهود . فإن كان فيها موضع أعد للصلاة ليس فيه قبر ولا نجاسة . فلا بأس به كما في المغنبة وفي الحاوي . فإن كانت القبور وراء المصلى لا يكره وإن كان بينه وبين القبر مقدار مائة كان في الصلاة ومن اتسان لا يكره فهذا أيضاً لا يكره انتهى .

وأما وضع اليدين على القبور والناس البركة من مواضع روحانيات الأولياء فهو أمر لا بأس به أيضاً . قال في جامع الفتاوى . وقيل : لا يعرف وضع اليد على المقابر سنة ولا مستحباً ولا يرى به بأساً انتهى . والأعمال بالقياس فإن كان مقصده خيراً كان خيراً . والله يستولي السرائر .

وأما نذر الزيت والشمع للأولياء بوقد عند قبورهم تعظيماً لهم ومحبة فيهم فهو جائز في الجملة . أرايت أن الفقهاء قالوا في وقف الذي الزيت على سراج بيت المقدس : أنه صحيح لكونه قرية عندنا وعندهم . وفي كتاب أوقاف الخصاص من بحث وقف الذي فإن قال أرض صدقة موقوفة تكون غلتها في ثمن زيت للإسراج في بيت المقدس . قال : هذا جائز لأنه قرية عندنا وعندهم انتهى وبيت المقدس مسجد شريف فالإسراج فيه من جملة تعظيمه وكذلك قبور الصالحين والأولياء المقربين .

وكذلك نذر الدراهم والدنانير للأولياء بأن تصرف على فقرائهم المجاورين عند قبورهم أمر جائز في نفسه لأن النذر فيه عياد عن العطية كلها قالوا في الهبة للفقراء أنه صدقة فليس له الرجوع فيها وفي الصدقة على الأعيان . أنها حبة فثبت له الرجوع فيها . فالعبرة بمقاصد الشرع دون الإلفاظ ، فإن النذر إنما هو مخصوص بالله تعالى فإذا استعمل في غيره كمن قال لسرجي : لك على عشرة دراهم إن شفا الله مريضاً ونحوه . قال : لذرت لفلان كذا كان وعداً منه بذلك .

وهو مجاز عن الهبة لأن كانت ذلك الرجل غنياً وعن الصدقة إن كان فقيراً . ورب انسان يقول لآخر من أهل السنة الكافرين بالله تعالى إن شفا الله مريضاً فقلت عندى مائة درهم منك . ولا يأنم في قوله ذلك . ويكون صدقة لأن الصدقة على فقراء أهل السنة جائزة ما عدا الزكوة ، كما قررره الفقهاء في كتبهم . فكيف يقول عاقل بحرمة قول الانسان لولي من الأولياء بعد الموت إن شفا الله مريضاً فقلت عندى مائة درهم ونحوه . مع أن أهل الأولياء أولى في هذا المعنى من غيرهم . وإن كانوا أموالاً فإن القائل يعلم أن ذلك يصرف في مصالح الخادم لذلك الولي والفقراء المجاورين عنده فيجعل ذلك وعداً وصلة وإباحة من ذلك القائل لكل من يأخذ ، نصحيحاً لقول المؤمنين ما أمكت والله ولي التوفيق .

وأما احتجاج بعض الناس على تحريم هذه الأمور بغير دليل قطعي فدوجه عدم الحياء من الله تعالى وعدم الخوف منه فإن المحرام في الشيء في مقابلة الفرض في الأمر . وكل منهما يحتاج في بوبته إلى دليل قطعي إما إباحة من كتاب الله تعالى أو سنة من رواية أو إجماع معتد به أو قياس يورده المجتهد لا غيره من المقلدين لأنه لا عبرة بقياس المقلدين الذين لم تتوفر لديهم شروط الاجتهاد كما هو مسطر في كتب الأصول .

وأما قول بعض المنعزدين : بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا ولياً من الأولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعوذة منه أن يدركهم اعتقاد أن الأولياء نوزل في الوجود مع الله تعالى فيكفرون ويشركون بالله تعالى ، فنتهاهم عن ذلك ونههم قبور الأولياء ورفع البشريات الموضوعة عليها ، ونزيل النور عنها ، ونجعل الإهانة للأولياء ظاهراً حتى تعلم العوام الجاهلون أن هؤلاء الأولياء لو كانوا مؤثرين في الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التي نفعها معهم . فاعلم أن هذا الصنيع كفر صريح مأخوذ من قول فرعون على ما حكاها الله تعالى لنا في كتابه القديم بقوله تعالى : (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه أني أخاف) أن يبدل دينكم أو أن يحدث في الأرض الفساد . وكذلك هؤلاء المنعزدين لم يكمل إيمانهم بعد بيان الله تعالى بحب أوليائه وأنه يخلق على أيديهم في حياتهم جميع ما قننوا من برائهم بمخالفة الشرع وجميع ما تزيده روحانياتهم بعد موتهم



بأمره تعالى الذي روحانياتهم منه من الأمور المخارقة للعادة وكانهم لم يعلموا بعد أن الإيمان حق وأنه منج عند الله تعالى فقاومهم بماؤة من ظنون وشكوك وأوهام وتغيرات وزيج. وقد عموا وصموا وختم الله تعالى على قلوبهم حتى لم يقدرُوا على الفرق بين الحق والباطل. ومن يضال الله فماله من هاد ولو أنهم صدقوا في خوفهم ذلك على عامة المسلمين افردوا لهم أحكام العقائد والتوحيد وعلموهم البراهين والحجج القطعية من غير منازعة ولا جدال وحملوهم على الفهم في العقائد والنظر في الفضائل. وشدوا عليهم في ذلك غاية التشديد، فإن العامة متى تحقروا في نفوسهم أن الفاعل واحد على كل حال. ولا تأثير لشيء البتة تحولت خواطرهم عن اعتقاد التأثير في غيره تعالى وعلموا أن كل ما سواه تعالى بيده تعالى، فتن وتغيرات تسعى أسبابا يضل الله بها من يشاء ويهدي من يشاء. قال تعالى: (والله من وراءهم محيط) يعني من وراء جميع الأشياء المحسوسات والأشياء المسمفولات على معنى أنه لا يشبهها ولا تشبهه البتة. وعلى فرض أن يكون غرضهم ذلك المذكور فكيف يجوز انتهاك حرمت الله تعالى في حق أوليائه وأهل خاصته بهدم قبابهم وتحقير قبورهم في عبود العامة وهناك مستورهم الموضوعة احتراماً لهم من أجل هذا الأمر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة. وكيف يجوز الظن السوء في حق العامة ولم يكن النبي ﷺ ولا أصحابه يفعلون ذلك لأن الظن السوء بالمسلمين حرام محقق كما قدمناه.

وأما اعتقاد شيخ بعينه والانتفاء إليه والسلوك على طريقته الخاصة فهو أمر مطلوب. فإن العمل بالجوارح كما يحتاج المقلد فيه إلى سلوك مذهب مخصوص إن لم يكن مجتهداً كالحقن بقلد أبا حنيفة والشافعي يقلد الشافعي ونحو ذلك، كذلك سلوك الطريق إلى الله تعالى يحتاج إلى تقليد شيخ مخصوص في البداية لتصل البركة والامداد بواسطة محبة ذلك الشيخ واعتقاده من الله تعالى إلى ذلك الإنسان، كما أن الشيخ إذا كان حياً اتصل بركته بخادمه ومعنده والمستمد منه. فكذلك الشيخ إذا كان ميتاً مدفوناً في قبره فإن المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى ولا فرق في الاستمداد بين الشيخ الحي والميت بعد معرفة أتهما لا يؤثران في شيء من

الأشياء مع الله تعالى قطعاً، فإن العريد الصادق إذا صدق في طلب العدد من الله تعالى على يد شيخ حي أو ميت مما هو سبب من جملة الأسباب، فاقه تعالى لا يغييه البتة. فإن المرشد الكامل إذا كان حياً ليس في ربه إبطال العريد إلى الله تعالى بتأثيره. وإنما الموصول هو الله تعالى وحده ولكن المرشد سبب كما قال تعالى لمحمد ﷺ الذي هو أعظم مرشد للامة: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم). وقال له: (ليس لك من الأمر شيء).

ونقل قدوتنا الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره: أن من جملة مشايخه الذين انتفع بهم في طريق الله تعالى ميراب رآه في مدينة قاس في حائط ينزل منه ماء السطح فانتفع به ومن مشايخه ظالم المحدث من شخصه وذكر بحر ذلك في كتابه روح القدس. وهذه الأولياء الذين في قبورهم ليس أنهم أعلى من الميراب والظل اللذين كان يستمد منهما الشيخ الأكبر رضي الله عنه بسبب صدقه في ذلك. فكيف ينكر عاقل استمداد إنسان من ولي ميت من أولياء الله تعالى وهو يعلم أن روحانيات الأولياء منصفة بأجسادهم في قبورهم كما سبق بيانه. وكيف يستمد إنسان من هذا الاستمداد من الأموات الذين هم أفضل من هؤلاء الأحياء الغافلين عن معرفة رب العالمين بيقين. ومع ذلك نراه إذا عرضت له حاجة إلى ظالم أو فاسق أو كافر جاء إليه مشدداً خاضعاً وبدايته، ويطلب منه قضاء حاجته ويستمد منه ثم يقول: فلان قضى حاجتي ونفعني. بل إذا جاع استمد الشيع من المأكلي، وإذا عطش استمد السري من السعاً، وإذا عري استمد ستر العورة من الثوب، ونحو ذلك استمداداً طبيعياً مع علمه أن المأكلي والماء والثوب جادات لا روح فيها. ولو صرح بهذا الاستمداد وقال: أنا أطلب الشيع من المأكلي ونحوه على المعنى المجازي مع اعتقاده أن الله تعالى هو العدد الحقيقي فلا خطأ عليه ولا أثم ولا عار. وكذلك يقول هذا الغافل الدواء الفلاني مسهل والشيء الفلاني قابض والمعجون الفلاني نافع من كذا، ولا يسأل في هذا القول ولا يظهر منه إلا تنقاد والاحترار إلا في حق نسبة التأثير والاستمداد إلى أولياء الله تعالى الذين هم أفضل عند الله تعالى من كل دواء وكل معجون وما ذلك إلا من انطباع البصيرة والعماء عن الصواب.



ولما بحث المريد على اتخاذ الشيخ الحى مسترشداً منه أو المبتدئ مستمداً منه ما نقله الشيخ عبدالوهاب الشعراوى رحمه الله تعالى في كتابه الموهوب المحببة : ان معروف الكرخى كان يقول لأصحابه : إذا كان لكم الى الله تعالى حاجة فاقسموا عليه بى ولا تقسموا عليه به تعالى . فقول له فى ذلك فقال : هؤلاء لا يعرفون الله تعالى فلم يحبههم ، وأولاهم عرفوه لأجابه . وكذلك وقع لىلى محمد الحنفى الشاذلى انه كان يمدى من مصر إلى الروضة ماشياً على الماء هو وجباة فكل من يقول لهم : قواروا يا حنفى . وامشوا خالى وإياكم ان تقولوا يا الله ! تفرقوا . فخالف شخص منهم وقال : يا الله فرأيت رجلاً ينزل إلى اجبته في الماء فالتفت إليه الشيخ وقال : يا ولدى انك لا تعرف الله تعالى حتى تمشى باسمه على الماء ، فاصبر حتى اعرفك بعظمة الله تعالى . ثم اسقط الرساقل انتهى .

وفي الجملة فلتأخذ الشيخ الحى ان وجد ، وإلا فالمبتدئ أولى . ولكل أصوات لعاقدمناه من اشارة قوله تعالى : (انك ميت والنهم ميتون) فانهم نرشد ان شاء الله تعالى ولا نعترض تكن من السالكين . فان الله تعالى يغار لأولاده إذا انتهكت حرمانهم أشد غيرة ولا إله غيره انه أقول فصل ومسا هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فعمل الكافرين انهم رويدا .

وأما هذه الطبول والنايات وهذه الأعلام والرايات التي تنقيد بها الفقراء اليوم وهذه الأوقات التي اختراعها مشايخ هذا الزمان فان جميعها جهل ولهو وهالة لا ينبغي للشيخ المرشد أن يعملها ولا أن يقر عليها لما يترتب عليها من مفسدة الغرور بغير الله تعالى والأعراض عن طلب العلم النافع والاجتهاد في سنن سيد المرسلين عليه السلام وإن كنا نحن لا ننكرها على الكمالين العارفين إذا صدرت منهم (فل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) .

وأما الاجتماع وذكر الله تعالى الصحيح الخالى من اللحن مع الأدب والخشوع بعد معرفة الواجب من الاعتقاد الموافق ، والواجب من كيفية الأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات فهو أمر جائز مندوب إليه ولا انتقادات لمن رده من تعصبه وجهله . فقد نقل الشيخ المناوى رحمه الله تعالى في الشرح الكبير على المجموع الصغير عن

الشيخ الأسيوطى رحمه الله تعالى انه اخذ من قوله عليه الصلاة والسلام : أكثروا ذكر الله حتى يقولوا محزون . ونحو هذا الحديث : ان ما اعتاده الصوفية من فقد حتى الذكر والجمهور به في المساجد ورفع الصوت بالشهائيل لا كراهة فيه . وذكره في فتاواه الحديثية ، قال : وقد وردت أخبار تقتضى نديب الجهر بالذكر وأخبار تقتضى الاسرار به والجمع بينهما . ان ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي رضى الله عنه به بين الأحاديث الواردة بنديب الجهر بالقراءة والواردة بنديب الاسرار بها انتهى كلامه .

وأما خصوص هذا الصنع والزعم والصباح والاضطراب والتواجد عند سماع أقوال السفيين واحتياك أصوات الذاكرين جهراً فلا تطلق القول فيه . وإنما فصل . فان كان بحق بان قام للتواجد قومة المضطر الذي استغرقه المعاني الآلهية الواردة على قلبه وخالطه في ذلك الوقت : فانا لا نذكر ذلك ولكن نسلمه لقاعله على أنه ليس كعالم له . والكمال في السكون كما قال الشيخ أرسلان رضى الله عنه في رسالته في علم التوحيد : إذا عرفته سكنت وإذا جهلته تحركت . وأما إذا كان قيامه وتواجدته مجرد شهوة نفسية بمثنة فحركته عمدا وهيمته وامارته وحملته على فعل ذلك الصباح والاضطراب ، فهو شيطان مريد يجب منه وطرده وإخراجه من بين الجماعة حتى لا يفسد بقية الذاكرين ويشتت قلوبهم ويزيل خشوعهم وأدبهم .

فلا قال قال : من أين يعرف المريد المحقق من المبتطل ؟ نقول له : من شرب الخمرة لا يد أن يتغابها أو تنطح بالحشها من قعره وبين ذلك اذا نأه ما الذي حملك حتى صحت وزعفت واضطربت ؟ فان بين معنى الثبأ بعمل ذلك وشرح لنا شيئاً من المعاني الواردة على قلبه عند السماع بحيث نستدل بالثمرة على الأغصان وبالأزهر على البستان سلمنا له ذلك واعتقدنا فيه الصلاح .

وأما إذا سألناه لوجدناه من جملة الثيران لا يزيد على قوله همت في محبة ربي وأها حتى ذكرى حقائق الوجود وهو منعم من كل فضيلة فهو شيطان عتيد يجب طرده وإخراجه وتأديبه .



وأما إنشاء الأشعار التي تكلم بها العارفون كاشعار الشيخ شرف الدين ابن الفارض والشيخ الأكبر ابن العربي وعفيف الدين التلمساني والشيخ عبد الله السودي وغيرهم من السادة الصوفية رضي الله عنهم فهي جملة المهيجة القلبية إلى الحضرة الإلهية . فكل من كان يفهم الحقائق يجوز له سماعها وإنشادها . وكل من الهته وارفعته في القرب النفساني ولم يتنفع منها بوارد يرد على قلبه فلا يجوز له سماعها . لأن سماعه حينئذ مجرد لهو وبطالة . كما قال الشاعر :

لقد سمعت لو ناديت حياً  
ولكن لا حياة لمن تنادي

ويجب علينا أن لا نسيء الظنون في أحد من العالمين إلا لمجاهر بكفره ومنهتك بفسقه إذا أخبر عن نفسه أو أطلعنا عليه من فتنات كلامه وتحققنا عدم فهمه وعدم كلفه بربه ، والجميع عندنا محمولون على الكمال . ولكن هذا مقدار الواجب علينا في البيان ويجب على كل مسلم أن لا يخون نفسه وبغالطها . فان وجدناها قوة على المعرفة والانفعال بحضور حلق الذكر المشتمل على السماع والوجد والإنشاد فليحضر ، وإلا فاشتغاله بطلب العلوم النافعة أول كما قال القائل شعرا :

إذا لم تستطع شياً فادعه  
وجا وزه إلى ما تستطيع

وليحذر كل الحذر أن يكون منافقاً في الطريق فان الناقد يصبر ووالله بما تعلمونه خير .

وأما هذا الزمى المخصوص الذي اتفذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومباوور الصوف والسيلوبات فهو أمر قصيرا به التبرك بمشائخهم المعاصرين ، فلا ينبغي أن يلبسوا به . فان غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التي اتخذها الفقهاء والمحدثون . والعمائم التي اتخذها العساكر والجنود والملابس التي اتخذها عوام الناس وخواصهم فانها جميعها مباحة ، وليس فيها شيء يوافق السنة إلا القليل . ولا نقول انها بدع أيضاً لأن البدعة هي الفعلة المخترعة في

الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وكانت عليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم وهذه الهبات والملابس والعمائم ليست مبتدعة في الدين بل هي مبتدعة في العادة ولا هي مخالفة للسنة أيضاً على حسب ما عرف الفقهاء السنة بأنها كل فعله فعلها النبي ﷺ على وجه العادة لا العادة . ولم يكن النبي ﷺ يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا يلبس الثياب المخصوصة على طريق العبادة . وإنما قصد بذلك من العودة ودفع اذية الحر والبرد . ولهذا ورد عنه لبس الصوف والفطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة . فليس مخالفته في ذلك مخالفة منه وإن كان الانباع في جميع ذلك أفضل لأنه مستحب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . آمين .

وكان الفراغ من تصنيفها نهار الأربعاء السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وثمانين بعد الألف ١٠٨٤ من الهجرة النبوية .

وكان الفراغ من كتابتها على يد الفقير محمد عمر الدويكي الشافعي عفا عنها منتصف صفر المبارك سنة ثمان وتسعين وألف (١٠٨٩) .